سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ١٤

عبادة السلف في رمضان

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد الله بن عبد العزيز العنبقري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

الشيخ لم يراجع التفريغ

العنبقري

عبادة السلف في رمضان

alanqri1 drangari alanqri

للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalangri@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ

١٤

عبادة السلف في رمضان

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد الله بن عبد العزيز العنقري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

السلفُ رضي الله عنهم قومٌ قد أكرمهم الله عَزَّوَجَلَّ بتعلّق قلوبهم بربهم عزّ اسمهُ مُدة حياتهم كلها؛ فليس أمرُ عبادتهم في رمضان خاصًّا برمضان؛ بل كانوا رضي الله عنهم وأرضاهم على هذا الحال العظيم من التشمير في الطاعة، والاستعداد المناسب لها طوال حياتهم؛ لكنهم إذا جاءت هذه المواسم الفاضلة التي هي نعمةٌ من نِعمْ الله عَزَّوَجَلَّ على عباده، أعطوها ما ينبغي أن تُعطى مما تستحقه من العناية بأوقاتها، وهذا ما سيكون عليه مدار هذا الحديث بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الدقائق، إذ هو قائمٌ على طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم في حفظ أوقات شهر رمضان.

جاء عنهم رضي الله عنهم أنهم كانوا إذا صاموا رمضان دعوا الله عَزَّوَجَلَّ ستة أشهر أن يتقبّلهُ منهم، لعلمهم بعظم قدر شهر رمضان عند الله، فإذا مضت ستة الأشهر طمعوا أن يُدركوا رمضان القادم؛ فسألوا الله عَزَّوَجَلَّ أن يُمدّ في أعمارهم على طاعته حتى يُدركوا شهر رمضان، فكان أمرُ رمضان والاهتمام به مُستديمًا عندهم؛ لإدراكه قبل أن يأتي؛ ولقبوله بعد أن صاموا وقاموا، سوف نذكرُ بإذن الله عَزَّوَجَلَّ جملةً ونماذج من عبادتهم، مدار هذه النماذج، وهذه الآثار قائمٌ على أمرٍ عظيمٍ من وفقه الله تعالى في رمضان ويسّرهُ لهُ فإنه رابحٌ في رمضان ولا شك، وهو الحرص البالغ على حفظ أوقات هذا الشهر.

فكيف كان السلف يحفظون أوقات شهر رمضان؟!!

كانت لهم رضي الله عنهم وأرضاهم طرائقُ عظيمة لحفظ هذا الشهر تُعينُ من وفقه الله تعالى للسلوك على طريقهم لحفظ أوقات هذا الشهر حفظًا تامًا؛ فمن أهم ما كانوا يراعونه في شهر رمضان:

-أن يبقوا في المساجد مدةً طويلة، وكانوا رضي الله عنهم يبقون في المساجد ويقولون: نبقى في المساجد

ونحفظ صيامنا عن الغِيبة.

إذا تأمّلتْ هذا الأمر العظيم فهمت فقهه، أنت في المسجد أقربُ ما تكون إلى الطاعة، وحتى لو أراد أحدٌ أن يجلس بجانبك ليُشغلك بكلامٍ لا خير فيه استثقلته في المسجد أكثر من استثقالك له في أيّ موضعٍ آخر، إذ المسجد بيتٌ من بيوت الله عَزَّوَجَلَّ أُقيم لذكره: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٦-٣٧].

ولهذا: كانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يبقون في المسجد مُدةً طويلةً من وقت الشهر ويحفظون صومهم بذلك، وإذا أنت كُنت في المسجد؛ فإنك إذا أدّيتْ الفريضة وبَقِيتْ في المسجد بعد الفريضة فإنك في صلاة؛ كما ثبت عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه قال: «**وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ، وَالْمَلَائِكَةُ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»؛ فلا يزل في صلاة ما انتظر الصلاة، **ومعنى ذلك:** أنك تمكثُ في المسجد ساعاتٍ طويلة؛ ولهذا اختار بعض أهل العلم منهم شيخنا ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (أن الاعتكاف يصلحُ مدةً محدودة)، كأن تدخل وتنوي الاعتكاف مُدة ساعتين، -**يقول:** يصح-، بعض أهل العلم يقول: (الاعتكاف لا يقلّ عن ليلة أو عن يومٍ وليلة)، وبعضهم يختار أن الاعتكاف إذا نويته فإنك إذا نويت الاعتكاف أيًّا كانت مُدة الاعتكاف فإنك في حكم المعتكف.

وبالتالي إذا أنت على سبيل المثال صليتْ العصر ففي هذا الصيف الطويل الذي تبلغُ ساعات العصر فيه ثلاث ساعات، إذا نويت الاعتكاف فإنك تكون في حُكم المعتكف ويكون لك أجر الاعتكاف.

لو تأمّلنا -**أيها الإخوة**- ثلاث ساعات هذه بعد العصر، إذا ضربت ثلاث ساعات في ثلاثين يومًا وجدتها تسعين ساعة، فإذا لزمتْ المسجد كل يوم بعد العصر مكثتْ على هذا تسعين ساعةً إذا تم الشهر تقرأ فيها كتاب الله وتتأمّلُ في معانيه، وتُسبح الله تعالى وتذكرهُ، وتكون في صلاةٍ هذه المدة طويلة؛ لأن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أخبر أن العبد -كما تقدم- يكون في صلاة ما انتظر الصلاة.

-مما يشجعُ على هذا ويزيد العبد عنايةً بهذا المقام دُعاء الملائكة الذين ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا

يَفۡتُرُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٠] ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [التحريم:٦] ، «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**».

والدعاء بالمغفرة والرحمة ورد في كتاب الله في مواطن، وسأله آدم وحواء لما وقع منهما ما وقع: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف:٢٣] ، وذكر الله تعالى أنهُ غفورٌ رحيم في مواطن كثيرة، وأنت تسأل الله تعالى الغفران والرحمة في صلاتك، في الجلسة بين السجدتين ربي اغفر لي وارحمني، وتسأل الله تعالى ذلك في صلاتك في غير الجلسة حتى بين السجدتين مُطلقًا، الملائكة تدعو الله لك هذه المدة: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»، وذلك مما يُحفز العاقل على العناية بالبقاء في المسجد في رمضان كما كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلون، **يقولون**: نبقى في المساجد، ونحفظُ صيامنا عن الغِيبة.

-**المسجد أيها الإخوة**- يُعين كثيرًا جدًّا على العناية بالوقت؛ فيكون أمامك كتاب الله، فتقرأ ما شاء الله تعالى أن تقرأ من الأجزاء ومن السور العظيمة، ومن أحسن وأمثل ما يُعينك على القراءة أن يكون عندك تفسير مختصر، ولا سيما «**تفسير ابن كثير**» و«**تفسير ابن سعدي**» رحمة الله تعالى عليهما؛ فتقرأ وتتدبر والساعات طويلة؛ فلا يخرج رمضان إلا وقد فَقِهتْ عددًا غير قليلٍ من الآيات؛ لأن ثمة آياتٍ يقرؤها الناس لا يدرون معناها، فإذا جلس الواحد منهم في رمضان ثلاث الساعات هذه بعد العصر والتفسير عنده؛ فإنه تمرُ به آياتٍ كان يقرؤها بطريقةٍ مستديمة لا يدري معناها -الحمد لله- هذان تفسيران أمامك تأمّل والوقت طويل فتتدبر وتُحقق ما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩] ؛ فيحصل لك التدبر والتذكر، هذا فيما يتعلق بثلاث الساعات هذه في العصر.

❁ مَا مَزِيَّة التَّرْكِيز على ثَلَاث ساعات العصْر؟!!

أنها ختامُ يومك؛ فتختمُ هذا اليوم بذكر الله، ودُعائه، وقراءة القرآن وتدبره، وذكر الأذكار، وللصائم عند فطره دعوةٌ مستجابة تكون قد سبقتها بتلاوة أعظم الذكر على الإطلاق وهو القرآن، أعظم الذكر على الإطلاق هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، هذا فيما يتعلق بالمُكث في المسجد بعد العصر، وليس المقصود أن يمكث بعد العصر، بل تمكثُ ما أعانك الله تعالى أن تمكثْ، والناس يتفاوتون في هذا منهم من يستطيع

أن يمكث أوقاتًا طويلة ولا سيما الطلاب والمدرسون الذين ليس عندهم عمل؛ فإن كثيرًا من الطلاب والمدرسين -**أيها الإخوة**- في وقت الدراسة لما كانت الدراسة في رمضان كانوا يتذرّعون بأنهم لا يتمكنون من القراءة؛ لأن الدراسة منعتهم؛ فتبين أن كثيرًا من هذا الكلام الذي يُقالُ غيرُ صحيح؛ لأن لنا سنوات طويلة ورمضان يأتي في الإجازة؛ فاتضح أن هذا غير صحيح.

والإنسان يحرص على استغلال هذا الشهر؛ حتى وإن كان عنده عمل؛ فإنه يستطيع أن يوفق بين العمل وبين الطاعة والذكر في رمضان وألا يُضيع هذا الوقت الشريف العظيم، إذًا هذا أمر يتعلق بحفظ هذا الوقت الطويل وإلى عهدٍ قريب كُنا ندرك الناس إذا صلوا العصر مكثوا أماكنهم يقرءون القرآن إلى قُرب الإفطار، وتجدُ المسجد مليئًا بالناس يقرءون القرآن بعد صلاة العصر مُستمرين إلى قُرب الإفطار؛ ثم قلّة للأسف هذه المسألة عند كثيرٍ من الناس -ونسأل الله أن يمُنّ علينا بالعونِ على ذكره وشكره وحسن عبادته-.

مما يمكن أن يُمكث فيه أيضًا بعد الصلوات -**أيها الإخوة**- فمثلًا إذا صلى الإنسان بعد الظهر يستطيع أن يمكثْ بعد الظهر مُدةً مديدة، يمكن أن يمكث بعد الظهر مثلًا إلى الساعة الثانية، أو يزيد فيكون قد دخل المسجد قرب الساعة الثانية عشرة، ولم يخرج إلا الثانية أو بعد الثانية، مع ثلاث ساعاتٍ بعد العصر، **كمْ يُحصّل؟!** يُحصّل نحو خمس ساعاتٍ في النهار؛ ثم إنه يعود ليصلي التراويح، والتراويح تأخذُ وقتًا قد يستغرق مع الصلاة نحو الساعة، فيمرُ عليه في اليوم والليلة إضافةً إلى أوقات صلاة الفجر وصلاة المغرب يمر عليه ما يقارب ست إلى سبع ساعات وهو في المسجد، وإذا انتهى هذا الشهر المبارك وإذا به قد أمضى ساعاتٍ طويلةً جدًّا في رمضان في المسجد، ومن أعانه الله ومكث أكثر فذلك خيرٌ له؛ لكن هذه الأمور لو عوّد الإنسانُ نفسهُ عليها لوجدها يسيرة؛ ولا سيما وكثيرٍ من الناس ينام فترة الضحى كلها أو معظمها فيكون نشيطًا -ولله المنّ والفضل والحمد والشكر والثناء الحسن- الآن لا يُعاني الناس كثيرًا من أمر الحرّ، كان الناسُ في القرى قبل أن تأتي الكهرباء ترى آثار الإجهاد والإنهاك عليهم شديدًا للغاية؛ فإذا أتى العصر وجدتْ صعوبة المشي على الواحد منهم مجرد أن يمشي حتى يصل إلى المسجد الوضع صعب لشدة الحرّ، الآن -ولله المنّ والفضل- البيوت مُكيفة، والمساجد مُكيفة، والسيارات مكيفة؛ ولهذا تجدُ حتى الصغار الآن يصومون -ولله الحمد- ولا يُعانون معاناةً شديدة.

هذا كُلهُ يُعين العبد على الطاعة، وهي كلها مُعينات ومُيسرات لمن أحيا الله قلبهُ لينتفع وليستفد من هذه النّعم وليستعملها في طاعة ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هذا ما يتعلق بحفظ الوقت في رمضان في مظهر من مظاهره وهو المُكث الطويل في المسجد.

-مظهرٌ آخر من المظاهر التي كان عليها السلف رضي الله عنهم وأرضاهم وحفظوا بها أوقاتهم، وهو الإقبالُ على القرآن، والإقبال على القرآن في البيوت وفي المساجد، الإقبال على القرآن مُطلق كما تعلم؛ ولهذا أُثر عن السلف رضي الله عنهم أنهم كانوا يختمون في رمضان ختمات لا يختمونها في بقية العام؛ فكان كثيرٌ من السلف يختمُ كُل ثلاثة أيام، ومعنى أن تختم كل ثلاثة أيام أنك ستقرأ عُشر القرآن -تقريبًا كل يوم، وكان بعضهم يستمر على هذه الطريقة حتى تدخل العشر؛ فإذا دخلتْ العشر ختم كل يومٍ ختمة، فيخُص العشر بختمة -**وأنت تعلم**- أن الختمة الواحدة تأخذ ساعاتٍ طِوالًا، ومعنى هذا أن هذه الأوقات الطِوال ستكونُ بالإقبال على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وجاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسندٍ ثابت عنه أنه كان يقرأ في رمضان ستين ختمة، ختمةً بالليل وختمةً بالنهار، ومعنى ذلك أنهم كانوا يُقبلون على القرآن بكُليتهم؛ **ولهذا**: كان السلف يتركون دروس العلم في رمضان؛ لكنهم إذا تركوا دروس العلم في رمضان يجعلون الوقت للقرآن؛ **ولهذا**: جاء عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه دخل عليه بعض الفقهاء وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رمضان ومعهُ المصحف يقرأ فلما دخلوا عليه قال: (أشغلكم الفقه عن القرآن الله المستعان)، ويعتب عليهم أنه اشغلهم الفقه عن القرآن مع أن الفقه علم؛ **فما بالُك بمن أشغلهُ ما سوى الفقه!!**

قد يقولُ قائل: «إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يُختم القرآن في أقل من ثلاث»؛ فيقال صحيح ثبت هذا عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لكن من فعل هذا من السلف **قالوا**: إن مثل هذا يُحمل على غير المواسم **أي**: أن العبد يختم كل ثلاث لا يقلّ عن ثلاثة أيام في غير رمضان؛ فإذا جاء رمضان فإنه يُقبلُ بكُليته على القرآن؛ **ولهذا**: كانوا يختمون الختمات.

-وعلي كل حال- وإن اختار بعض أهل العلم أن الحديث مُطلق في رمضان وفي غير رمضان إلا أن من يقصر ويكسل عن الإقبال على رمضان ليس هو الذي يقول مثل هذا؛ لأن الذي يقول إنه ينبغي أن يُلاحظ أمر الحديث؛ ينبغي أن يكون من جانبهُ هو حِرصٌ على القرآن، أمّا أن يقع عندهُ كسل في الإقبال

على القرآن ثم يقال لماذا يختمون في أقل من ثلاث -**فما أنصف**-.

-**وعلى كل حال**- فالمختار أن يُختم القرآن ولا تقل الفترة التي يختم فيها عن ثلاث، هذا هو المختار والذي دلّت عليه السُّنة، ومعنى ذلك كما قُلنا إنه سيستغرق وقتًا طويلًا جدًّا من العبد، -**وأنت تعرف**- أن الختمة تستغرق وقتًا كما ذكرنا يكون بالساعات؛ ثُم إن قراءة السلف ﷺ ليست قراءة الهذرمةِ والسرعة التي يكون غرضُ الواحد منهم أن يُنهي القرآن ويختمهُ كيف ما اتفق؛ لا كانت قراءتهم ﷺ قراءة المُتدبِّر، وهذا يعني أن مُدّة الختمة التي يختمون، الساعات التي يختمون أنها أطول من الساعات التي قد يختمها من يكون همّهُ كما قال ابن مسعود ﷺ: «**ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة**»؛ ممن يُريد أن ينتهي من السورة كيفما أتفق؛ بل كانوا يقرءون ويتدبّرون، وهذا قُلنا إنه ينبغي أن يكون عليه قارئ القُرآن.

المُهم في قراءة القرآن أن يستغرق القُرآن وقتًا طويلًا منك في رمضان، بين حفظٍ، وتلاوة، وتدبر -**أنت على خير**- حتى لو قلّة الختمات؛ ولكن الساعات قد أمضيتها في حفظ القرآن وفي تدبّره وفي تلاوته فأنت على خير؛ بل القراءة التي فيها التدبُّر وتقلّ ختماتها أفضلُ من القراءة المستعجلة التي تكثر فيها الختمات.

ولهذا: جاء عن ابن عباس ﷺ أنه سأله رجلٌ عن أنه يقرأ القرآن -أظنه قال في ليلة أو نحوه- فقال: «**لئن اقرأ سورة البقرة وأتدبّرها في ليلةٍ أحبُّ إليَّ من أن اقرأ قراءتك**»، **أي**: أن الإقبال على القُرآن وتدبّرهُ خيرٌ من القراءة التي يكون غرض القارئ أن ينتهي من السورة وأن ينتهي من الختمة، وإن كان مأجورًا على كل حال، هو على كل حال مأجور.

والأجرُ في قراءة القرآن -**أيها الإخوة**- كبير كبير للغاية، يقول ﷺ: «من قرأ حرفا من كتاب الله كان له بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا لا أقول ألف لام ميم حرف ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، وأحرفُ القرآن كثيرة جدًّا، ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «**مقدمة التفسير**»: (أن بعض أهل العلم عدّ أحرفُ القرآن فوجدها ثلاثمئة ألف حرف، وواحدا وعشرين ألفًا ومئةً وثمانين حرفا)، عدد كبير جدًّا، وإذا أمضيتْ أوقاتك في قراءة هذه الأحرف العظيمة مُدةً طويلةً في رمضان فقد والله حفظتْ وقتك أيّما حفظ، -ثلاثمئة ألف وواحد وعشرون ألف حرف ومئةٌ وثمانون حرفا- وإذا قلنا

إذا كان معه أيضًا التدبّر، كنت بأكرم المنازل في الإقبال على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فهذا أمرٌ ينبغي ملاحظتهُ في أمر رمضان، وأنه شهرُ القرآن، قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، فلقراءة القرآن في رمضان مَزيَّة؛ **ولهذا**: «**كان النبي ﷺ يعرضُ القرآن على جبريل كل سنةٍ مرة -في رمضان-؛ حتى إذا كانت السنة التي تُوفي فيها عرضهُ عليه مرتين**»، ومعنى ذلك أن يُستغرق وقتٌ طويلٌ في عرض القرآن كما تعلم؛ فمن هنا كان من المهم جدًّا أن يُنبّه على الإقبال على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، في المساجد وفي البيوت، والإقبال على كتاب الله تعالى يكون على نوعين:

- **النوع الأول**: بالقراءة المُجرَّدة.
- **النوع الثاني**: بقراءة القرآن في الصلاة، وأن يُحرص على أن يُطال في قراءة القرآن في الصلاة.

ينبغي أن يحرص الأئمة في صلاة التراويح على إطالة القراءة، وينبغي أن يُعينهم المأمومون، وأن يتركوا كثرة التَّمنُّع وكثرة التّعنُّت على الأئمة في قراءة القرآن؛ فإن عددًا من الأئمة يقول نتمنى أن نختم القرآن؛ لكنَّ كثيرًا من المأمومين يعترضون؛ ويقولون أطلتم، ويقولون تعبنا -**وأنت تعلم**- أن صلاة التراويح ولله الحمد صلاةٌ مبناها ولله الفضل على التيسير؛ فالذي يُجهده أن يُصلي قائمًا يستطيع أن يجلس، أمّا أن يضغط على الإمام حتى يُقلّل القراءة حتى يُصلي قائمًا؛ فهذا ما أنصف، صلّ قائمًا ما استطعت؛ فإن عجزت -فالحمد لله رب العالمين- هي نافلة لك أن تُصلي جالسًا، أمّا أن تطلب من الإمام أن يُقلّل من القراءة، وأن يُقصّر في الركوع وفي السجود؛ فلا يتمكّن الناس من الدعاء؛ لأجل أنك تُريد أن تنصرف مع الإمام؛ هذا ليس بتصرفٍ سليم، صلّ ما استطعت قائمًا؛ ثم إذا أتعبك الأمر فإنك تُصلي قاعدًا.

۞ ولماذا سُمِّيتْ -هذه الصلاة العظيمة- صلاة التّراويح؟!!

لأنهم كانوا يقرءون فيها بالمئين؛ **أي**: بالمئات؛ فإذا قرءوا فيها بالمئين روّحوا، وكان أهلُ مكة يُصلون الصلوات الطويلة؛ فإذا امضوا مُدةً من الصلاة -من التسليمات والركعات- توقفوا وطافوا بالبيت، وروّحوا بالطّواف؛ **أي**: من عبادة في عبادة؛ فعلم أهلُ المدينة بطريقة أهل مكة في الصلاة؛ فلمّا لم يكن عند أهل المدينة موضعٌ يطوفون به كأهل مكة عوّضوا عن الطواف الذي يطوفهُ أهل مكة بأن

زادوا في التراويح؛ فصار أهلُ المدينة يُصلون ركعاتٍ أكثر، كان أهل مكة يُصلون واحدًا وعشرين ركعة؛ فزاد أهل المدينة -أغلبُ ظني- أنهم أوصلوها إلى تسعٍ وثلاثين ركعة -مُنافسة- **يقولون**: ليس عندنا كعبةٌ نطوف بها، وهؤلاء عندهم الكعبة، وزادوا علينا في الصلاة، فزادوا هم وزادوا علينا في العبادة -بالطواف- فزادوهم في عدد الركعات -مُنافسة في الخيرات والحمد لله- وكانوا يأخذون العِصِيّ ويُصلون ويستريحون من آثار طول القيام؛ **ولهذا**: جاء عن العُطاردي -أبي رجاء- رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو من المخضرمين-: (أنه كان يختمُ في رمضان ثلاث مرات)، **أي**: أنه يختمُ قطعًا يختمُ بالناس في الصلاة، وقد يكون له هو صلاة أخرى؛ لكنّهُ يختمُ بالنّاسِ كل عشر ليالي، **ومعنى ذلك**: أنه سيختمُ القرآن ثلاث ختمات، وإلى عهدٍ ليس ببعيد، كان القرآن يُختم مرتين وفي بعض المساجد يُختم ثلاث مرات في رمضان؛ لأنهم يُركّزون على الختمات، يستعينون على كثرة الختمات بتطويل الصلاة؛ الثابت عن النبي ﷺ أنه كان لا يزيدُ في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة؛ لكن -**يا إخوة**- ينبغي أن يُفقه هذا الحديث؛ هذا الحديث تقول عائشة رضي الله عنها -في بقيته-: «**يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ**»؛ فكان يصلي إحدى عشرة ﷺ؛ ولكنّهُ كان يُطيل جدًّا في القراءة، وإذا أطال في القراءة؛ فإنه أيضًا يُطيل في الركوع وفي الرفع منه وفي السجود وفي الجلسة بين السجدتين؛ لأن ركوعه ورفعه منه، وسجوده وجلسته بين السجدتين كانت قريبًا من السواء، وكان ﷺ قد يُطيلُ ويخصُّ الرفع من الركوع والجلسة بين السجدتين بمزيد إطالة -كما في حديث أنس-: «**حتى يقول القائل قد وهم أو قد نسي**»، على عكس ما يفعلهُ كثيرٌ من الناس من تخفيف القيام بعد الركوع والجلسة بين السجدتين.

فينبغي أن تُفهم سُنّة رسول الله ﷺ؛ وألا تُؤخذ كمًّا وتترك كيفًا؛ فكان ﷺ يُصلي -**وأنت تعرف**- صلاة رسول الله ﷺ بنصّ القرآن، يقول الله تعالى: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٢-٤].

❁ وما معنى كونه ﷺ يُصلي نصف الليل؟!!

معنى ذلك: أنه صلوات الله وسلامه عليه في الشتاء يُصلي نحوًا من ست ساعات؛ لأن الشتاء يطول ليلهُ حتى يصل إلى نحو من ثنتي عشرة ساعة، ومنتصف الليل يقتضي أن يُصلي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ هذه

الساعات الطويلة، وإذا قصُر الليل -كما في الصيف- ووصل إلى نحوٍ من تسع الساعات؛ فإنه يُصلي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أربع ساعاتٍ ونصف؛ فمن هنا كان قيامهُ ﷺ للصلاة يوافق الوقت الذي أكثر الناس الآن فيه لم ينامون، وإذا أردتْ أن تعرف مُنتصف الليل وثُلث الليل فاعرف متى تغربُ الشمس ومتى يطلعُ الفجر؛ فإذا كانت تغربُ الشمس في الشتاء مثلًا الساعة الخامسة ودقائق ويؤذن الفجر الساعة الخامسة، معنى ذلك أن عندك اثنتي عشرة ساعة، أضف ست ساعات على الخامسة، ست ساعات بعد الخامسة **أي**: الساعة الحادية عشرة؛ فكان يقومُ ﷺ قرب هذا الوقت ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾؛ فكان يقوم ﷺ -كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**فلما كان عند نصف الليل أو قبلهُ بقليل أو بعده بقليل قام**»، وذلك يقتضي أنه يُطيل الصلاة عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ **ولهذا**: «**جاء أنه ﷺ صلى في ركعةٍ واحدةٍ فاستفتح البقرة حتى أتمّها؛ ثم النساء حتى أتمّها؛ ثم آل عمران حتى أتمها؛ ثم ركع**»؛ فكوننا نقول إن الأفضل والمختار أن يُصلي إحدى عشرة ركعة -هذا لا شك فيه- لأنها فعل رسول الله ﷺ وقالت عائشة رضي الله عنها: «**مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهَا عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً**»؛ لكن مع ذلك ثبت عنه أنه صلى ثلاث عشرة ركعة -كما في حديث ابن عباس- مما يدلُ على أن إحدى عشرة ليس معناه أنه لا يُزادُ عليها؛ فيمكن أن يُصلي -كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما- لما سأل رجلٌ النبي ﷺ عن صلاة الليل قال: «**مَثْنَى مَثْنَى** -**أي**: اثنتين اثنتين- **فَإِذَا خَشِيتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِرَكْعَةٍ**»، **أي**: أنه يُصلي اثنتين اثنتين حتى لو صلى خمسين تسليمةً -ثنتين ثنتين- لا إشكال؛ لكنه يُوتر في الأخير.

فينبغي أن تُفهم السُّنة؛ فالذي يُريد أن يُقصّر في القراءة؛ فإنه يُطيلُ في الركعات -يكثر في الركعات- يُصلي مثلًا -كما يُصلي أهل مكة- كانوا يُصلون واحدًا وعشرين ركعة؛ كما ذكر ذلك الشافعي في كتاب «**الأم**»، أو يزيد كما كان أهل المدينة يعوضون عن الطواف الذي كان يطوفه أهل مكة فيزيدون حتى يصلوا إلى تسعٍ وثلاثين ركعة، **أمّا أن يقول القائل**: إن النبي ﷺ يصلي إحدى عشرة ركعة؛ فأصلي إحدى عشرة ركعة؛ ثم يُصلي إحدى عشرة ركعة هذه في مُدةٍ وجيزةٍ محدودة، **ويقول**: طبّقتُ السُّنة؛ **فنقول**: طبّقتها كمًّا ولم تُطبّقها كيفًا، طبّقتْ إحدى عشرة ركعة ولم تُصلها كما صلاها رسول الله ﷺ، فإن كُنتْ ستُصلي هذه الصلاة؛ فالأحسن أن تزيد في الركعات؛ لأنك إذا كُنتْ ستقرأ مثلًا بوجهٍ واحد، وبعضهم قد يقرأ بنصف وجه؛ فالأفضل أن تزيد في الركعات؛ حتى تكون مُدّة الصلاة

طويلة، أمّا أن تُصلي الصلاة بأسرها في نحوٍ من عشرين أو من خمسٍ وعشرين دقيقة، هذه الصلاة تُسمى قيامًا، وكانوا يُسمونها تراويح، يحتاجون إلى الترويح فيها والاستراحة، ومثل هذا الوقت لا يحتاج الإنسان فيه إلى شيءٍ من الراحة؛ لأنها فترة محدودة جدًّا؛ فينبغي أن يُفهم فقه «**صلاة الليل**» وأن يُحرص على معاونة الأئمة على أن يؤدّوا هذه الصلاة؛ كما أدّاها رسول الله ﷺ ؛ وبذلك يعمرُ المسلمُ وقتهُ في النهار بالمكثِ الطويل في المسجد، وقراءة القرآن فيه، والذّكرُ، والتسبيح، والصلوات، والنوافل التي يصليها، ويعمرُ وقتهُ في الليل أيضًا بصلاة الليل في رمضان.

وفي صلاة الليل خلف الإمام مزّية عظيمة جدًّا وبشارة من رسول الله ﷺ «**إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**»؛ ولهذا إذا صلى الإمام ساعةً أو ساعةً ونصف كُتب لك قيام هذه الليلة كاملة؛ فتكون ممن قام رمضان كاملًا -نسأل الله الكريم فضله ألا يحرمنا-.

الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم أدّوا صلاة التراويح خلف النبي صلى الله وسلم في رمضان؛ ولأجل ذلك صلاة التراويح أصلها مشروعٌ زمن النبي ﷺ ، **وذلك**: أن النبي ﷺ صلى ليلةً فصلى بصلاته ﷺ بعض الصحابة؛ ففي الليلة الثانية علم الناس أن النبي ﷺ صلى بالناس في الليل؛ فلما تسامع الناس بهذا الخبر أتوا وصلى عددٌ أكثر من الذين صلوا في الليلة قبلها؛ ثم علم الناس لاحقًا؛ حتى عجز المسجد عن أهلها -انظر المنافسة **أي**: أن المسجد امتلأ- كلهم يريدون الصلاة خلف رسول الله ﷺ والائتمام به؛ فصلى بهم ثلاث ليالٍ ﷺ ؛ ثم في الليلة الرابعة لم يخرج لهم عليه الصلاة والسلام، وعلم مقامهم؛ ثم أخبرهم أنه علم مقامهم قال: «**لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ**»، **أي**: خشي أن تُفرض عليهم؛ لأن في وقت الوحي خشي أن يُلزموا بقيام الليل؛ لأن قيام الليل كان في أول الإسلام كان واجبًا؛ ثم إن الله تعالى نسخ الوجوب في آخر سورة المزمل: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل: ٢٠] الآية؛ فنُسخ، فخشي ﷺ أن يجب عليهم مرةً أخرى؛ فتوقف ﷺ ؛ فصار أصلُ صلاة التراويح مشروع بسّنة النبي ﷺ ، في زمن عمر رضي الله عنه رأى الناس يصلون اوزاعًا، يُصلي رجل فيأتمّ به اثنان، يُصلي رجل فيأتمّ به عدد؛ فجمعهم على إمامٍ واحد، وجمعه لهم إنما جمعهم؛ لأن أصل الصلاة مشروعٌ زمن النبي ﷺ -كما قُلنا- وعمر يعلمُ أن الوحي قد انقطع، وأنه لن تُفرض ولن تكون واجبة؛ فلذلك جمعهم على أُبي رضي الله عنه وعن أصحاب النبي ﷺ أجمعين.

هذا مما يحفظُ للمسلم وقتهُ في رمضان؛ فإذا أقبل المُسلم على هذه العبادة العظيمة وهي عبادة حفظ الوقت في النهار وفي الليل انسلخ شهرُ رمضان وقد أمضى ساعاتٍ طِوالًا مُستفيدًا من هذا الشهر ذاكرًا مُقبلًا على طاعة ربه؛ فيُرجى له -بإذن الله- عَزَّوَجَلَّ أن يكون ممن يُغفر له إذ قد علم قدر هذا الشهر العظيم.

-وهذا الشهر المبارك- فيه عبادة مُستديمة وهي عبادة الساعات الطِوال بالصيام وهي نعمة كبيرة جدًّا من الله عَزَّوَجَلَّ، كُون الناس يصومون خمس عشرة ساعة هذه والله إنها نعمة من نِعم الله البالغة، أن يمضي وقتك أكثر من نصف اليوم وأنت صائم لله عَزَّوَجَلَّ نعمة من نِعم الله الكبيرة؛ **ولهذا قالوا:** إن الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما أقبل رمضان كان في مكة فاتجه إلى الطائف؛ فوجد في طريقه أعرابيًا آتيًا من الطائف إلى مكة فقال الأصمعي: أين تُريد؟ قال: مكة، قال: في هذا الحرّ؛ لأن الأصمعي خرج يخشى من حرّ مكة يُريد أن يصوم في الطائف، فقال الأعرابي: من الحرّ فررتُ، **أي:** من حرّ النار فررت، يعلم أن مكة فيها حرّ؛ لكن يحتسبُ الأجر؛ فهذه الساعات الطِوال يجدها المؤمن في رصيده، والصوم مزّيتهُ -نسأل الله ألا يكلنا إلا إلى وجهه وألا يكلنا إلى أعمالنا- مزّيتهُ أن الأجر فيه على الله تعالى، يقول تعالى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»، «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ**» الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف «**إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**» وحسبُك لكون الجزاء على الكريم المنان -عز اسمهُ لا إله إلا هو- فكون الصوم جزاءُ العبد فيه على الله هذا أمر عظيم، وكون الإنسان في عافية وفي نعمة وقدرة على أن يصوم خمس عشرة ساعة بل يستطيع أن يصوم أكثر هذه من نعمة الله وفضله مما يقتضي أن يُحمد وأن يُشكر لا أن يُمنّ وقال: الصوم طويل وفيه عناء وفيه تعب، كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم يُعانون المُعاناة الشديدة؛ رُبما حصل الصيام في أوقات قتال وجهاد، ومع ذلك ما كانوا يتأوّهون من طول الصوم كانوا يتعبّدون إلى الله عَزَّوَجَلَّ به، ويحمدون الله تعالى أن منّ عليهم وأن أعانهم على عبادة الصوم.

ولهذا: جاء أن عليك بالصوم؛ فإنه لا عِدل له، الصوم عبادة طويلة، عبادة طويلة مُستديمة، الصلاة دقائق؛ لكن الصوم ساعات، وهذه كُلها يجدها العبدُ في ميزان حسناته، سيفرح أنه صام هذا الوقت الطويل فإياك أن يظهر منك عند ربّ العالمين التّأوّه من طول الساعات، واحمد الله أنت في حال من النعمة، وفي حال من الشِبع والرّي والأمن، وفي حال من كون الحرّ لا يمثل عندك مشكلة فاحمد الله واشكره واستعن بالله تعالى على عبادته.

من الأمور التي تحفظ للعبد وقتهُ في رمضان وهو من فعل السلف رضي الله عنهم وأرضاهم، «**عبادةُ الاعتكاف**»؛ والاعتكاف: هو لزوم المساجد لطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يحسن أن يأخذ المسلم منه بنصيبٍ؛ ولو أن يعتكف ليلةً واحدة، وهذا أمر سهل -**أيها الإخوة**- حتى المشغولون يستطيع أن يعتكف في العشر الأواخر لو ليلةً واحدة؛ فإذا أقبل الإفطار يأخذ تمراته معه ويتجهُ إلى المسجد ويُفطر في المسجد ويبدأ الاعتكاف عنده تلك الليلة، يبقى إلى أن يُصلي التراويح وأول القيام؛ ثم يُصلي ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ أن يُصلي بين القيام الأول والقيام الثاني؛ ثم إذا صلى الإمام في القيام الثاني يمكث أيضًا ويستمر حتى وقت السحور وانتهاء الليلة عند ذلك يكون قد اعتكف ليلة.

-**ها هُنا مسألة متعلقة بالوتر مع الإمام**- الوتر مع الإمام إذا أوتر الإمام مثلًا في العشر الأخيرة، والمسلم عنده نشاط، سواءٌ كان مُعتكفًا أو غير مُعتكف ويحبُ أن يُصلي؛ فإنه إذا أوتر الإمام وسلّم؛ فإنه يقوم ويشفعُ هذه الركعة، وعند التكبير ينوي أنها ركعتان؛ فإذا سلّم الإمام قام، وصلاها ركعتين ثم استمر يُصلي، وهذا الأمر بالمناسبة هو فتوى اللجنة الدائمة وفتوى الشيخ عبد العزيز بن باز وفتوى الشيخ ابن عثيمين رحمهما الله؛ فهو ليس بأمرٍ مُنكر؛ لأن بعض الناس صار يُنكرُ هذا، ويقول: إنه لا ينبغي أن يقوم من بين الناس ويُخالف الإمام؛ هذا غير صحيح، والفتوى على غيرها -فتوى اللجنة الدائمة وفتوى الشيخ عبد العزيز وفتوى الشيخ ابن عثيمين رحم الله الجميع-، على أن من أراد أن يواصل الصلاة؛ فإنه إذا سلّم الإمام من الوتر يقوم ويشفع بركعةٍ أخرى؛ لأن المشروع للعبد أن يجعل آخر صلاته وترا، وهذا الرجل ينوي أن يُصلي فيواصل، يواصل الركعات، قد يُصلي بعد الإمام مثلًا قد يصلي عشر ركعات، ويجعل وترهُ في السحر، في آخر الوقت وهو الأفضل، الأفضل أن يكون الوتر في آخر الوقت، وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لما ذكر صلاتهم مع النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى بهم تلك الليلة في رمضان صلاةً طويلة قال: «**حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ**»؛ **أي**: السحور؛ أيّ أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى بهم مُعظم الليل حتى خشوا ألا يُدركوا السحور، **أي**: لم يبق إلا مُدّة يسيرة؛ فمن يجدُ في نفسه نشاطًا ويحب أن يُصلي؛ فإن المشروع له إذا صلى الإمام الوتر أن يشفع بركعة وهذا ولله الحمد أمر معروف ونصّ عليه الفقهاء رحمهم الله تعالى، وهو فتوى اللجنة الدائمة، وفتوى الشيخين رحمة الله تعالى عليهما -**هذا قُلنا إنه كُلّهُ يحفظُ الوقت**-.

ومن أعظم ما يحفظُ الوقت -ما قُلنا من أمر الاعتكاف- فمن أعانه الله واعتكف مثلًا العشر

الأخيرة؛ فإنه يكون قد حفظ ليلهُ ونهاره؛ لأنه في أجرٍ مُستديم.

لكن ها هنا أمرٌ لا بُدّ أن يتفطن له المعتكفون، وهو أن الاعتكاف انقطاعٌ على العبادة، انقطاعٌ للعبادة، وبعض الشباب وفقهم الله وسدّدهم، يسمعُ بالاعتكاف ولا يعرفُ فقهه؛ فيظن أن الاعتكاف هو أن يمكث في المسجد فقط، **ثم ماذا يفعل؟!!** تجدهُ يتصفحُ جواله، وتجدُ بعض المُعتكفين قد جلسوا حِلقًا يتكلمون ويضحكون ويخوضون في أمور الدنيا، **ما الفرق بينكم وبين الجالسين في بيوتهم؟!!** بل هذا الحِلق التي هي محل الضحك، ومحل كلام الناس، الواقع أنها لا تليق أصلًا بالمسجد؛ فمن أراد أن يعتكف ليحفظ وقته فليفهم «**فقه الاعتكاف**».

اِعلم أن بعض أهل العلم يرى أن المعتكف ينبغي أن يُقبل على الذكر وعلي القرآن؛ **قالوا**: ولا ينبغي أن يشتغل حتى بالعلم؛ لأنه ينبغي أن يشتغل بالذكر، **وقال آخرون**: بل العلم من الذكر؛ فإذا اشتغل في اعتكافه بالعلم فهو على خير -**أنا أقول هذا**- حتى يُعلم أمر الاعتكاف، وأن الاعتكاف ليس موضعًا للترويح، والكلام في أمور الدنيا، والمزاح، وكثرة الضحك، وإضاعة الأوقات؛ ثبت عن النبي ﷺ أنه ربما أتتهُ الواحدة من زوجاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في معتكفه فحدّثتهُ وحدّثها مُدّةً محدودة؛ ثم إنها تنقلبُ إلى بيتها وترجع، أمّا أن يكون المعتكفون كأنهم في بيتٍ قد جلسوا إذا قاموا من نومهم مثلًا في الضحى استمروا في الحديث والكلام والضحك وتصفح الجوالات هذا غير صحيح؛ هذا لم يفقه فقه الاعتكاف الواقع.

-وها هنا أمر آخر- أنصح به إخواني عند قراءة القرآن، -**أنا أنصح**- كل من قرأ القرآن أن يُقبل على القُرآن بكُلّيته، ومعنى إقبالهُ على القرآن بكُلّيته أن يترك عنه الشواغل ومنها الجوال.

يا أخي!! إذا أقبلتْ على القرآن فاغلق الجوال -نصيحةً لوجه الله تعالى- لأنه يتصل بك من لا يدري أنك في المسجد؛ فيطيل معك في الكلام؛ وربما أخذ منك نصف الساعة أو الساعة، وأضاع عليك هذا الوقت، وهو لا يدري أنك في المسجد وأنك تقرأ؛ فأنت إذا أغلقت جوالك وأقبلتْ على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حصل عندك حفظ الوقت، وحصل عندك عدم التّشتت؛ لأن بعض من يقرءون القرآن نراهم يقرؤون القرآن ثم يُتصل به فيترك القراءة ويكلّم هذا ثم بعد مُدّةٍ يقرأ ربما ثلاث أربع دقيقة ثم يتصل به آخر أنعجز أن نترك هذه الجوالات مُدّةً محدودة هي مدّة قراءتنا للقرآن لا حاجة إلى أن تُشغلك هذه

الشواغل، وتصرفك هذه الصوارف اقبل على القرآن بكُلّيتك ودع عنك مثل هذه الأمور التي تصرفك عن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

من الأمور التي كان يتعبّدُ بها السلف رضي الله عنهم وأرضاهم ما يتعلقُ بالنفقة على المحاويج في رمضان، سواءٌ بالحرص على تفطير الصائمين، أو الحرص على هؤلاء الجياع والفقراء والمساكين وسدّ حاجتهم وهذا الشهر شهرٌ مبارك وشهرٌ تقترب فيه القلوب جدًّا من بعضها، تقترب فيه قلوب الأغنياء من الفقراء، والفقراء من الأغنياء؛ لكثرة الإقبال على الخير، ولكثرة المواساة، وكثير من المسلمين يخرج زكاته في رمضان فيفرح بهذا الفقراء ويعُمُّ سرورٌ عامٌ في المسلمين.

ومن أعظم ما يكون من التّقرب إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ التّقرب إلى الله بإدخال السرور على أخيك المسلم، وإدخال السرور على الفقير وعلي المسكين الذي يُعاني من شظف العيش، سواءٌ كانوا من فقراء عندنا هنا أو من هؤلاء الفقراء -الذين نسأل الله تعالى أن يرحم ضعفهم- من إخواننا الذين شردوا في أنحاء الأرض من آثار هذه الحروب التي شتّتهم وأحوجتهم، هذا من أعظم ما يُتقرب به إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ فيتقرب إلى الله تعالى بإطعام هؤلاء الجياع سواءٌ في شكل تفطيرٍ للصائمين في هذه السلال التي تُرسل لهم، أو دعم هذه المشاريع التي تقوم على تفطير الصائمين، وهذا مما يكون خيره مُتعديًا ومما يحفظُ به أيضًا الوقت، ومن باشر هذا بنفسه من استطاع أن يُباشر هذا بنفسه؛ فإن ذلك من الخير الكثير، بأن يباشر بنفسه مثلًا إطعام الجياع والفقراء وتفطير الصائمين -هذا لا شك- أن من أعانه الله تعالى عليه؛ فإنه يحظى منه بشيءٍ كثيرٍ من التواضع لله عَزَّوَجَلَّ، وقرب القلوب قلوب المسلمين من بعضها، وأن يرى الله تعالى منه التواضع وعدم الترفع على إخوانه المحاويج -ولا سيما- لو جلس معهم وأكل معهم؛ فإن هذا ممّا يسرُّهم ويُفرحُهم، وهو القائم على تفطيرهم؛ فيأخذ بذلك أجرًا عظيما.

❍ **الحاصل**: أن الوصية فيما يتعلق بهذا الشهر العظيم؛ أن يُقبل المسلمون على حفظ الأوقات، وهذا -**كما قلت**- مدار عبادة السلف في رمضان، يعني لو أريد أن يُختصر أمرُ عبادة السلف في رمضان في عبارة لقيل: «**إن عبادة السلف رضي الله عنهم في رمضان قائمة على أساس حفظ ساعات ودقائق هذا الشهر**».

-**ومن هنا ينبغي أن يُلاحظ أمر**- وهو عدم الإسراف في النوم؛ لا بُدّ للإنسان من النوم؛ لكن ينبغي أن يلاحظ -**أيها الإخوة**- أن النوم ينبغي ألا يأخذ الوقت الطويل، الآن يؤذن عندنا نحو الساعة الثالثة والنصف الفجر ودقائق يسيرة، وأذان الظهر إلى قُرب الثانية عشرة، كثير من الناس الساعة الرابعة يكون

في فراشه، فإذا نام من الرابعة إلى الثانية عشرة؛ **فمعنى ذلك**: أن هذه ثمان ساعات، ثمان ساعات مُدّة طويلة -هي ثلث اليوم- فينبغي أن يكون له نصيب من صلاة الضحى؛ فيقوم مثلًا قبل الظهر بمدّةٍ كافية ويُصلي الضحى والمختار له أن يُطيل في صلاة الضحى؛ فيطيل -ولا سيما- مثل ما ذكرت من ينام إلى فترة الضحى كاملةً لو أنه قام قبل الظهر -بما يسر الله- ويتفاوت الناس في هذا منهم قد يقوم قبل ساعة ومنهم قد يقوم قبل ساعتين أو أقل يستفيد من هذا الوقت، ولا يذهب فترة الضحى؛ لأنه -**أيها الإخوة**- فترة الضحى هي نصف النهار، بل تزيد الحقيقة الآن تزيد عن نصف النهار؛ لأن إذا صُمت خمس عشرة ساعة، وفترة الضُحى ثمان ساعات؛ فمعنى ذلك إلى الظهر، معنى ذلك أنك قد مضى عليك أكثر من نصف النهار؛ فلا يذهب هذا كلّهُ في نوم ويكفيك من النوم بعضهُ، وتقوم من الضحى -ما يسر الله- وتعمرهُ بذكر الله عَزَّوَجَلَّ وقراءة القرآن والمحافظة على صلاة الضحى؛ كما أنك حَفِظتْ الليل بصلاة التراويح وبالقيام -وبما يسر الله تعالى لمن أعانه الله تعالى- على الاعتكاف؛ فكذلك الحال المختار ألا يضيع اليوم في النوم؛ لأنه قد ينام الإنسان فترة الضُحى، بعض الأحيان مثلًا في الشتاء ينامُ الإنسان مثلًا من السابعة إلى الثانية عشرة هذه خمس ساعات؛ لكن الآن من نام من الساعة الرابعة إلى الساعة الثانية عشرة فهذه ثمان ساعات؛ لأن النهار طويل وأكثر من نصفه الآن في فترة ما بين الفجر إلى الظهر؛ فالمختار أن يحفظ هذا الوقت وأن يكون له في هذا النهار الطويل فترة الضحى أن يكون له نصيب، وألا يُمضيهُ كاملًا في النوم؛ لأنه لا يشعر بنفسه إلا والنوم قد أخذ معظم وقته؛ فيقوم ولو قبل الظهر بساعة، ويصلي الضحى ويقرأ -ما يسر الله تعالى- من القرآن ويبكر لصلاة الظهر ويبقى بعد الظهر مُدةً يُعينه الله تعالى عليها، ويبقى بعد العصر؛ المقصود أن يعمُر وقت رمضان.

-ومن أعظم العبادات -**أيها الإخوة**- التي يُتقرب بها في رمضان، وهي أجلّ من كثير من العبادات النّوافل أن يكون هذا الشهر سببًا في تغيير حياتك، من الانكِبابِ على المعاصي -ولا سيما- معاصي الأسماع والأبصار، التي هي منافذ تُدخل من السيئات ما لا يُحصيه إلا الله، اجعل هذا الشهر المبارك توبةً صادقةً من النظر إلى ما حرّم الله من صور النساء، وإلى ما حرّم الله من استماع الأغاني، ومشاهدة ما لا يجوز أن يُشاهد، اجعل هذا الشهر -**وهذا من أعظم العبادات**- لأن العبادة -**أيها الإخوة**- ماذا تجمع؟!!

تجمع ترك مُحرّم، وفعل واجبٌ ومسنون، من أعظم ما يُتقرب به إلى الله تعالى أن تترك المُحرّم لله، والصوم تعويدٌ لك على ترك المُباح؛ لأن الطعام والشراب مُباح؛ فتعودتْ أن تتركهُ لله فيعطيك درسًا في التقوى كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] ؛ أي: لأجل أن تتقوا، يُعطيك درسًا، أنا تركتُ الأكل والشرب لله، مع أنه مباح في غير رمضان بل هو مباح في ليل رمضان، إذًا ما بال الحرام الذي حرّمهُ الله طِوال السنة؛ من باب أولى أن أكُفَّ عنهُ؛ فتكون بذلك فترة رمضان داخلةً عليك بخير ما يدخل بهذا الشهر على عباد الله الصالحين، لَان تكُفَّ عمّا حرّم الله، وتُطهر جوالك، وتُطهر مسامعك وأبصارك من هذه المُحرّمات التي توارد عليها كثيرٌ من الناس.

نَسأَل الله بِأَسْمائه وصفاته أن يُبْلغَنَا وإيَّاكم هذَا الشَّهْر على أَحسَن حال، وأن يجْعلَنَا مِمَّن يُكرم مِن ربِّ العالميْنِ بِالْعَوْن على صِيامه وقيامه إِيمانًا واحْتسابًا.

وَاللهُ أَعْلَمُ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعلى آله وَصَحْبِهِ أجمعين.

ألقيت هذه المحاضرة في الخامس والعشرين من شهر شعبان
سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة وألف من الهجرة النبوية
بجامع ناصر الصفيان، بحي السويدي، الرياض
حرسها الله دارًا للإسلام والسنة.